معـــــركة أدبيـــــة

حول الإســلام والشِّــعر

إشـــــارات لابُـــدّ منـــــها

بقلم: الدكتور يحـيى الجبــوري

أثيرت منذ شهور قضية من قضايا السرقة الأدبية حيث اتهم الدكتور يحيى الجبورى أستاذ الأدب العربى بجامعة قطر الدكتور سامى العانى بسرقة كتابه « الاسلام والشعر » الذى نشره الدكتور الجبورى فى بغداد سنة ١٩٦٤ ، وقد كتب الدكتور سامى العانى فى مجلة « ألف باء » العراقية يدافع عن نفسه وينفى أنه سرق كتاب الدكتور الجبورى ونشره باسمه ، وفى هذا المقال يطرح الدكتور يحيى الجبورى القضية من جديد ، ويرد على الدكتور سامى العانى ، ويدافع عن حقه فى كتابه « الاسلام والشعر » الصادر قبل كتاب الدكتور العانى الذى يحمل نفس الاسم بعشرين عاماً .

قرأت فى مجلة (ألف باء) الغراء العدد ٨٤٩ الصادر فى ٢ كانون الثانى ١٩٨٥ رداً للزميل سامى العانى وإن خجل أن يذكر اسمه ، ولا أظن أن اسمه صار عورة تستر ، فما زال الأخ العانى عزيزاً علينا ولو لم يكن كذلك لأخذنا حقنا بالقانون وبتعويض باهظ ، وإن كان قد أباح لنفسه أن يغرف من أفكارنا ويدعى ما شاء من كتبنا خلافاً للحق والأصول ، ويستسيغ كل ذلك ، فاذا عارضنا سبنا وهجانا ، وأظن أن من تأدب بآداب البحث والجدل كما ورثناه عن أسلافنا العرب فى كتبهم ومجالسهم ، ومن تعلم المنطق ، لا يرضى لنفسه أن يسب ويهجو ويكذب الناس دون بيان ، وانى لأجل قلمى ولسانى أن ينزلق فيما انزلق إليه ، وقد أسفت أنه استعمل بعض الألفاظ النابية ، قال : « إن إدعاءه بأنى سرقت كتابه الاسلام والشعر المنشور سنة ١٩٦٤ ... » . انى يا أخى لست مدعياً بل أثبت ذلك بالأرقام الواضحة وأثبتها غيرى بالدليل القاطع سواء فى السعوديه حين أنيط الأمر بخبير عالم عدل ، وأثبت خبير عالم عدل آخر فى بغداد حين حول اليه الكتابان ، وأثبته ثالث فى الكويت خبير من عالم المعرفة التى تورطت بنشر الكتاب على مسؤولية مؤلفه ، فأثبتوا أنك أخذت من كتابى الاسلام والشعر وحده سبعين صفحة دون أية اشارة له ، وهو كما تقول أنت كتاب صغير عملته وأنا معيد فى كلية الشريعة قبل عشرين عاماً . أما اساءتك الثانية فى ردك فقولك : « ولكنه أضاف كذباً جديداً فادعى أن الجامعة عاقبتنى بعد التحقيق » ، وأقول اننى لم أدع ولم أكذب فالتحقيق حصل باعترافك والعقوبة وقعت كما سيأتى ، وأسفت ثانية أن تهبط الى مستوى التهاتر فأنت أستاذ كما تقول وتعلن ، والاستاذية علم وسلوك وكفاءة وليست ورقة توت ، وانى مع كل ذلك ألتمس لك العذر فانك فى حالة لا تحسد عليها وأنت بين محنتين أو ثلاث ، الأولى لما تندمل جراحها بعد ، وهى سرقة اطروحة الدكتوراه (دمية القصر) دراسة وتحقيقاً عام ١٩٧١ ، والثانية التورط فى سرقة مكشوفة ومثبتة بأرقام الصفحات والنصوص ، وليس فى الأرقام عواطف أو عصبيات ، والثالثة التورط فى رد متهافت فيه اعتراف أكثر مما فيه من دفاع ، وذنبك فى أعناق من دفعوك الى الرد ، فقد كان السكوت أبلغ وأعذر .

أما أنا أيها الأخ الزميل فانى لا أجاريك فى أسلوب ردك وأنت وغيرك يعلم اذا جد الجد فلسانى مبرد وقلمى سيف ، ولكنى أدعو الله أن يهديك ويشفيك ويعيدك الى الحق ، فالرجوع الى الحق فضيلة والله سبحانه يتقبل التوبة اذا كانت نصوحاً ، وعجبت لك وأنت الأخ المسلم والمتخصص بأدب الاسلام كيف لم تفد من الأحاديث النبوية بأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، فقد لدغت عام ٧١ وتعهد وسطاؤك لى

بأنك تبت وستكف أذاك عنى وعن الناس وهكذا توقفنا عن مواصلة النقد والكشف ، ثم عدت بعد اثنتى عشرة سنة لتستحوذ على كتابى الاسلام والشعر وعلى فصول من كتابى شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه الذى أغفلت ذكره فى ردك الكريم ، وهكذا أبيت الا أن تلدغ من الجحر نفسه مرتين ، وأنت تعلم أن جناية الكبير كبيرة ، فاذا كنت قد عملت ما عملت وأنت معيد ، فانك الآن أستاذ ورئيس الدراسات العليا فى الجامعة المستنصرية ، وذو مسؤوليات كبيرة وخطيرة أخرى ، وأنت فى مراكزك قدوة والقدوة لابد ان يكون أميناً ، فأين الأمانة أيها الأخ المؤمن .

انى أعلم أن مساحة المجلة لا تسمح بالافاضة فى الحديث ، والحديث ذو شجون وفى جعبتى لك أحاديث كثيرة تشجيك ولا ترضيك ، ولذلك سأوجز وأضمن كلامى بعضاً من أرقام الصفحات المسروقة ففيها دلالة وبيان ، واسمح لى أيها الأستاذ المختص أن استوضح بعض النقاط التى لم استطع فهمها فى ردك الجليل ، وأنت تعلم أن الناس تتفاوت فى الفهم والفطنة ، تقول : « إنى أستاذ فى الجامعة أكثر من عشرين سنة ومختص بالأدب الاسلامى الذى كتبت فيه عشرات الأبحاث ... فلماذا ألجأ الى سرقة كتاب صغير نشره مؤلفه عندما كان معيداً فى كلية الشريعة » .

١ ــ كونك أستاذاً فى الجامعة أكثر من عشرين سنة هذا غير صحيح ، الا اذا كنت تعنى ان كل من حمل حقيبة كتب فيها أسفارا ولا يعلم هو ما فى الأسفار ، عد أستاذا ، اذن أين السنوات الطوال العجاف التى كنت فيها معيداً فمدرساً فمساعداً ، على كل حال فما الذى يضطر أستاذاً كبيراً مثلك أن يغير على كتاب معيد ، الا اذا كان تأليف المعيد قبل عشرين عاماً خيراً من تأليف الأستاذ بعد عشرين عاماً .

٢ ــ أما قولك : ما الذى ألجأك الى سرقة كتاب صغير ، فهذا هو السؤال الذى لم تجب عنه ، وهو مسؤوليتك وحدك ، وان كنت وغيرى يعلم الجواب ، وما دمت لم تجب عن سؤالك فانى سأتبرع باعانتك على الجواب ، هناك يا عزيزى أكثر من احتمال ، منها : ان بعض الناس لا يستطيعون اختيار موضوع أو عنوان أو رسم خطة لبحث أو لم يسمعوا بعد بمناهج البحث العلمى وأصوله ، وانما يهجمون على ما يعجبهم من الكتب الجاهزة ، وقد كان هناك من يتابعنى حين أصدرت بعض الكتب فى السبعينات فكلما صدر كتاب لى أعلن بعضهم انه يعمل فيه ويوشك أن ينشره ، وأعرف بعض الأساتذة لهم ثلاثة كتب كلها مأخوذ من كتب الآخرين اسماً ومادة وكثيراً من المضامين ، هذا احتمال ، والاحتمال الآخر أن السرقة مرض لدى بعض الناس ، وهم يسرقون لأجل السرقة لا لحاجة ، وانما هو داء اعاذنا الله واياك منه واسمه العلمى فى كتب علم النفس Kleptomania وهؤلاء يجدون لذة فى السرقة والسرقة لديهم هواية مفضلة ، ولا ضير على هؤلاء أن يراجعوا عيادة الصحة النفسية التابعة لجامعة بغداد ففيها أساتذة أفاضل علماء متخصصون .. ويكتمون أسرار مرضاهم أيضاً .

٣ ــ ولا أدرى ماذا تقصد بقولك « كان معيداً بكلية الشريعة » ، هل المعيد فى كلية الشريعة عيب ، فاذا كان ذلك عيباً ــ ولست أراه كذلك بل انى أعتز به وأشرف ــ فقد كنت مثلى ، وجئت بعدى معيداً بكلية الشريعة ام انك تتنكر لذلك ان الأفعى وحدها هى التى تنسلخ من جلدها وتنزع كل عام ثوبها ، ونزع الثياب عيب أيها الأخ أم انك تقصد أن المعيد قبل اثنين وعشرين عاماً لا يستطيع كتابة بحث جيد يستحق أن يسرق لعلك تعلم أن الكثيرين ممن نالوا جائزة نوبل فى العلوم كانوا معيدين ، واننى نلت شهادة الماجستير بتقدير ممتاز والدكتوراه بتقدير شرف أولى وأنا معيد ، وهل نلت أنت شهادتيك اذا أقررنا جدلا أن شهادة الدكتوراه بظروفها المعلومة ومستواها المعروف مقبولة ، الا وأنت معيد ، فأين العجب فى هذا ، أفى كلية الشريعة التى كنت بها ، أم فى المعيدية التى مر بها أكثر الباحثين أتريد أن أعدد لك أسماء المعيدين الممتازين فى الجامعات العراقية وحدها وهم أكفأ وأرصن وأعلم من كثير من الأساتذة الذين لم تفدهم السنون ولم يطورهم طول العمر .

٤ ــ وتقول : « والمؤلفات لكبار الأساتذة فى هذا الموضوع كثيرة » ولا أظنك مصيباً فى هذا ، فعندما أصدرت كتابى الاسلام والشعر » عام ١٩٦٤ لم يؤلف أحد كتاباً كاملا فى هذا الموضوع وأنا أول من ألف فيه ووضع له هذا الاسم ، وكل الذين ألفوا بعدى وأشرت إليهم كانوا قد تناولوا الموضوع أو جانباً منه بصفحات أو سطور ، وكثير ممن كتب أشار الى كتابى وأفاد منه وأثنى عليه ولم يغفله أحد ــ مع سبق الاصرار ــ غيرك .

٥ ــ وتزعم أن الكتاب صغير ، فهل يقوم هذا عذراً لسرقته أو لاغفاله ، والأمانة العلمية تقضى أن تذكر كل المؤلفات التى سبقتك وأفدت منها ، أليس هناك اسم تختاره غير اسم كتابى ، واذا تشابه الاسم فهل تتشابه الخطة والتسميات والافكار والشواهد والاستنتاجات والعنوانات ، ومع كل ذلك تغفل كتابى وتذكر من كتب سطوراً فى الموضوع معتمداً على كتابى ، أليس وراء الأكمة ما وراءها . أما ان الكتاب صغير ، فلا أظن أن كتاباً يقع فى ١٧٦ صفحة يعد صغيراً وكتابك ٣٠٠ صفحة من القطع الصغير مع كل الحشو والانشاء والتكرار ، فاذا قسم على اثنين تكون المساحة هى هى ، ألا تعلم أن الابحاث الرصينة بجملتها صغيرة ، فرب بحث بخمس عشرة صفحة أفضل من كتاب بخمسمائة صفحة مما يثرثرون ، ثم ان العلم يوزن بقيمته وأفكاره ومادته وأصالته ولا يوزن بعدد الصفحات ، فالهراء والانشاء المدرسي والاجترار فى هذه الأيام كثير ، وليس العلم جوزاً يعد ، ولا بطيخا يوزن ، ولا حشفاً يكال .

٦ ــ وذهبت تعدد عدد مصادرك ومصادرى ــ وأرجو أن لا تخلط بين المصدر والمرجع ــ وما أضفت من صفحات ومصادر وأبواب ، وذكرت مشكوراً الموضوعات التى عندى وعندك فظهرت انها هى هى أو هى إياها ، إذا شئت ، وانى أسألك سؤالا أخوياً ، وأرجو ان تجيب عليه دون عصبية أو غضب ، خوف أن يرتفع ضغط أو ينقطع عرق ، ولا بأس أن تجيب عليه مع نفسك فى الأقل ، والسؤال هو : اذا سرق أحدهم سيارة موديل ٦٤ ثم أعاد طلاءها وبدل فراشها وغير فى (رفارفها) وأضاف إليها ما لا حاجة فيه من اضافات ، ثم ادعى بعد ذلك انها له وانها موديل آخر سنة ٨٣ فهل يصدق عاقل انها كذلك ، قد يصدق بعض الناس من قليلى الخبرة ولفترة تقصر أو تطول ولكنها عند خبراء المرور ، وهناك خبراء فى كل ميدان ، لاتخدعهم المظاهر والترهات ، سيارة قديمة مسروقة يعاقب عليها القانون ، والعبرة ليس فيما أضاف سارقها ، ولكن العبرة فى قوة بنائها وجودة صنعها ومهارة مهندسها ، ان المظهر لايغنى بأى حال عن المخبر .

لقد كتب المرحوم طه أحمد ابراهيم قبل ما يقرب من خمسين سنة (سنة ١٩٣٧) ــ ولم يكن دكتورا ولا استاذا متبجحا ــ كتابه تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، وهو صغير فى حجمه رائد فى بابه ، وكتب الناس فى تاريخ النقد بعده فلم يبلغوا ما بلغ ولم يغمط حقه أحد ، ولم ينهد له جاحد يغير على كتابه فيدعيه بدعوى انه قديم أو صغير انه كان حين ألفه معيداً .

٧ ــ وتقول ــ ايها الأخ الحبيب ــ انك كتبت عن الصراع الشعرى بين مكة والمدينة فى المجلات وفى كتابك السابق (دراسات فى الأدب الاسلامى) . فهل كتبت ما كتبت فى المجلات قبل ظهور كتابى شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ١٩٦٤ ، وهل خلا كتابى المذكور من هذا الموضوع الذى ذكرته بتفصيل فى الصفحات ٥٧ ــ ٢٠٩ ، وقد أفدت منه ونقلت عنه ، وأغفلت ــ كالعادة ــ ذكره ، هذه واحدة . والثانية ، لقد ذكرت بنفسك ، ولم أثر أنا هذا الموضوع وهو كتابك (دراسات فى الأدب الاسلامى) ، من أين لك هذا الكتاب ، اسمه ، وموضوعاته ، وما يخص الشعر

الاسلامى فيه ، وشعر حسان خاصة ، أليس هو مسلوخاً من كتاب (دراسات فى الأدب الاسلامى) لأستاذنا المرحوم محمد خلف الله أحمد ، أم أن الناس لا تقرأ ، واذا قرأت لا تفطن ، واذا فطنت لا تتحدث ، أرجو ألا تسىء الظن بالناس ، أم انها سيارة أخرى مع تغيير الديكورات وإضافة الاكسسوارات .

٧ ــ وتذكر أن موضوع (الرسول والشعر) وان اتفق عنوانه فموضوعاته مختلفة ثم تذهب فى تعداد الموضوعات التى عالجتها ، وأنا ذاكر لك موضوعاتك التى عددتها مع ما يقابلها من صفحات كتابى الذى أغرت عليه وغرفت منه :

أ ــ الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء . وهى فى كتابى ص ٤٥ ــ ٤٦ .

ب ــ انشاد الرسول الشعر . وهذا كلام عامى مخطىء ، قل : انشاد الشعراء الرسول الشعر ، أو : استنشاد الرسول الشعر ، وهذا مأخوذ من كتابى الصفحات ٤٣ ــ ٦٥ ومن شعر المخضرمين الصفحات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ . ودعك من عمليات التضليل فى التقديم والتأخير وفى أخذ النصوص مرة من الاسلام والشعر ومرة من شعر المخضرمين ، قفزا بين الصفحات .

ج ــ الاستشفاع بالشعر بين يدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وهو فى كتابى ص ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١ .

د ــ الشعر من أسلحة المعركة . هو عندى بعنوان : الشعر من أسلحة الدعوة ص ٦٢ ــ ٧١ .

هـ ــ الأشعار التى نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن روايتها . هو فى كتابى ص ٥٠ .

ز ــ من أهدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دمه من الشعراء . هو فى شعر المخضرمين الصفحات : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ــ ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٩٥ ــ ١٩٦ ، ٢٢٠ ــ ٢٢٦ .

وتقول : فهل يتفق هذا الباب مع ما ذكر . وأجيب : الأرقام التى أمامك تقول نعم مع شىء من عندك هو الاستكثار من الشواهد المتشابهة قصد التضليل والتضخيم .

٨ ــ وتذكر يا صديقى الوفى أن بعض المصادر المشتركة مصادر عامة . نعم أنت محق هى عامة وفى كل قضية عشرات الشواهد ، ولكن لماذا ينصب اختيارك على الشواهد نفسها التى اخترتها أنا دون غيرها ، هل تعنى ان ذوقينا متشابهان ، لا أظن ، بل هذا محال .

وتقول إن الأغراض الشعرية والخصائص الفنية ليسا فى كتابى ، ولهما اتصال بالشعر الأموى وتكرر الشعر الأموى ، نعم أخى المكرر هما ليسا فى كتابى ، لأنهما خارج موضوع الاسلام والشعر ، ولكن هل تريد أن أدلك من أين أخذتهما من كتب عباد الله غيرى دون ذكر لهم ، أم أن هذا فتق جديد



غلاف كتاب الدكتور يحيى الجبورى (١٩٦٤) وغلاف كتاب الدكتور سامى مكى العانى (١٩٨٣)

لم يأن أوانه . ثم هل اضافة موضوعين ــ غير مسروقين جدلا ــ يبرر سرقة بقية الكتاب ، ثم انى أسألك سؤالا بسيطاً فى حدود العلم بالشىء ، لماذا لم تذكر كتابى « الاسلام والشعر » و « شعر المخضرمين » على فرض انك لم تسرق منهما وانما أخذت بحسن نية ، هل أغفلتهما جهلا ــ وحاشاك ــ أم تضليلا ــ وبيباك ــ أم منهجاً جديداً من مناهج السطو الحديث ، ولعل هذا هو منهجك الحر الجديد كما جدد الشعراء فى الشعر الحر الجديد ، ومن حقك على الباحثين أن يقيموا لك تمثالا فى مدخل الجامعة التى رفعت رأسها ، كما عملوا للسياب تمثالا على ثغر الخليج .

٩ ــ لقد نقلت ــ ايها الباحث الجهبذ ــ كلاما جميلا وأفكاراً ناضجة عن ضعف الشعر فى العصر الاسلامى وخلوه من الفحول عن كتاب « الشعر الاسلامى والأموى » ص ١٣ للاستاذ الدكتور عبد القادر القط ، والأستاذ القط كان أميناً دقيقاً حين قال ص ١٤ : « أما الدكتور يحيى الجبورى فيقرنه (أى الحطيئة) بالأعشى ويقول متحدثاً عن طائفة من الشعراء عند ظهور الاسلام : ولم يكن فى هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين غير الحطيئة والأعشى ... (شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ص ٢٤٢) » ، ان أستاذك القط يذكر الفضل لأهله حين نقل عنى ، فلماذا تجحد حق الناس وأنت تنقل عن أفكارى (أم على قلوب أقفالها) .

١٠ ــ وتقول أيها الصادق الثقة ــ عن دمية القصر : (فقصته معروفة لكل المطلعين) وهذا حق وصدق ، فالكل يعرف الفضيحة التى لم ينسها أحد لا من الباحثين ولا من وفودك الذين حفيت أقدامهم بين أروقة الجامعة فى بغداد والقاهرة فى سبيل لم القضية وجمع شظايا القارورة التى تهشمت ، وأنت تعلم بأن الزجاجة كسرها لا يشعب ، واذا كنت قد اكتفيت بفضح الدراسة بالنصوص الناطقة والحجة البينة التى لا تقبل المراء ، وقد كنت عازماً على الاستمرار بفضح سرقة التحقيق ، والكتاب محقق مرات ، وكنت قد اعتمدت على جهد عبد الفتاح الحلو ومصصت عصارة ذهنه ، وأنا مطلع على الاتفاقات التى عقدتها معه ، ومنها عدم طبع كتابك ، ثم نكثت العهد وورطت الرجل حين طبعت الجزء الأول ، وان أساتذتك فى جامعة القاهرة على علم ــ فيما بعد ــ بكل ذلك ، واذا سألت : لماذا توقفت أنا عن التعرية الكاملة ، فأقول انك تعلم وأنت الصديق الثقة بأن قلبى رقيق لا أستطيع رؤية الدموع من عين صديق ولا النزيف الداخلى من جوف حبيب ، هذا غير الوفود التى كانت تصلنى فى البيت وفى كلية الآداب ، كل ذلك أثار عطفى وبخاصة حين جاءنى بعض من أجل من أساتذتى وقبل أحدهم رأسى وهم بتقبيل يدى ، فأكبرت فعلته وتأثرت وعفوت ونزلت عند رغبته بعد أن وعد بأنك تعهدت بكل مقدساتك أن تمسك عن ايذائى وايذاء الناس وأنك ندمت وأعلنت التوبة واستقمت وليس فى الحياة أثمن من الاستقامة ، ولكن مع الأسف بعد عشر سنوات نسيت ريمة وعادت لعادتها القديمة .

١١ ــ أما قولك ــ يا صاحب الود القديم ــ ان الجامعة لم تعاقبك على فعلتك فى الدمية ، فنعم ، اذا كنت تقصد أن الجامعة لم تخرجك من رحابها ، ولم تقم عليك حد السارق ، فنعم أيضاً لأن الجامعة ليست محكمة شرعية تقيم الحدود ، ولكن خبرنى بحقك لماذا تأخر ترفيعك سنوات ، ولماذ رفضت ترقيتك من مدرس الى أستاذ مساعد سنوات أيضاً ، ان نظرة من عين طالب متميز فى عينى أستاذه وهى نظرة شك بأمانته هى أشد وأقسى من مائة جلدة ، وكانت الجامعة حريصة على سمعتها فتصرفت تصرفاً حكيماً بعد أن ثبتت الادانة فرأت أن الرحمة فوق العدل وان ربنا أمر بالستر ، وما كل ما يعرف يقال .

وبعد يا عزيزى أرجو أن لا تنسى حين تطبع كتابى ــ كتابك مرة ثانية أن تذكر عليه اسمى ثم تذكر بعده اسمك مقروناً بـ (زاد فيه وأضاف اليه) ، ولا تستكثر ذلك على وتأخذك العزة بالاثم ، وأرجو أن يتصل الود بيننا ولا تقطع رسائلك عنا فلدينا الكثير الكثير مما نقوله لك معززاً بالوثائق والبينات .

يحيى الجبورى ــ جامعة قطر